الشاعرة سعاد الكواري في / لم تكن روحي و باب جديد للدخول
دراسة بقلم : محمد الزينو السلوم

الشاعرة القطرية سعاد الكواري ،صدرت لها مجموعة شعرية بعنوان (لم تكن روحي) عام 2000 – طبعت في بيروت – دار الكنوز الأدبية – من القطع الوسط تتضمـن /14/ قصيدة
نثرية وتفعيلة) جاءت في /104/ صفحة في ديوانها) الثاني " لم تكن روحي " وفي قصيدة " وجعي رماد " وهي أطول قصائد الديوان /21/ صفحة تقول في مطلعها : " أتسلل مـن زئبق الوقت / منهكةً خطواتي / أتسلّل هاربةً من دبيب السـؤالْ / وأحوم بقرب قناديلَ صامتةٍ ../ أترنّح كالشمع في هدأة الليلِ .." تحسّ منذ البداية في أن الشاعرة قد استفادت من تجربتها الأولى وخرجت
من دوائر الغموض المغلقة إلى الشفافية الشعرية ..فعكست المعادلة تماماً ، الشفافية هنا مع بعض سحب من الغموض لا تلبث أن تمضي مـــع الريح .. مسرعة كاشفة النقاب عن شمسٍ تدخل الأبواب والنوافذ ..
وعلى الرغم من وجود العديد من الانزياحات اللغوية والصور المركبـة والجمل الوصفية مثل (خرائب روحي–زئبق الوقت – هضبات الوجع – خاتم الكون –

خضر الرخام – شرفة البشر – أبخرة الصمت – قبضة الحلم–شرنقة الغربة..الخ)إلا أننا نجد هذه الجمل أو الصور أو الانزياحات تخدم القصيدة بفنّيتها ودلالاتها معاً وهذا ما قصدته من قبل .. وفي مكان آخر في القصيدة تقول : " كيف أهدهد هذا الذي يتحوّل في داخلي في ثوانٍ / لوحشٍ بشوشٍ / يُلاطفني .."وتقول أيضاً:"صوري تتكاثر فوق المراياً / أحدّق مذهولةً ثم أضحكُ / كالبرْق يلمعُ وجهي .. "

إنه الإبداع .. الشفافية الشعرية

لننتقل إلى موضوع آخر في القصيدة حيث تقول : " وجهي يذوب ويسجد في غرفةٍ مظلمةْ ../ ويمارس زرعَ الهزائمِ منذ الولادةِ / أبحث عني وأقطع أبخرة الصمتِ .. " وهكذا تتهادى القصيدة كما يتهادى القمر في كبد السماء في ليلة شبه مقمرة .. ومع طول القصيدة تجد نفسك مندهشاً متواصلاً منساباً مع فضاءات القصيدة تنقلك ..

في (ص 24) تقول : " الصباحات تصدمنا فنغيبُ / ونتركُ أرواحنا / تتراقص حالمةً في الفضاءْ .."وفي آخر القصيدة تقول : " نتناثر فوق المرايا / ونسقطُ في حفرةٍ ضيّقةٍ / نتبادل أدوارنا / ونواصل رحلتنا .. "

تتتالى القصائد في الديوان : الظلال – الألم – السواد – انزواء–الأبواب – قراءة أولى في سراديب الوجد-الصمت..الخ)في قصيدة الألم (ص 33) تتبدّى لنا

الشاعرة بعد أن تخرج من قمقمها في ديوانها السابق ومسحة الحزن تدثّرها حيث تقول : " مساءً أحاول أن أتدثّر بالصمت / تاركةً قبّة الحزنِ / تختفي في ضباب الشوارعْ .. "
في قصيدة انزواء (ص 43) تحسّ أن للريح صوتاً غاضباً فتقول : " للريح صوت غاضبٌ /ولهذه الحمّى التي تندسّ/بين سنابل الأحزانِ / تاركة جنون النفس / يذبل في رؤوسٍ فارغةْ .. " وفي اشتعال السرّ فينا تقول : " تنهال جمرتها الخفيةُ / في غموض الكونِ / تنتظر اشتعال السرّ فينا / عندما يغتالنا متن الفراغْ .. " في قصيدة قراءة أولى في سراديب الوجود (ص 55) في المقطع الثاني تقول : " حاول الشاعر أن يخرج من سجنه ملفوفاً / بأنفاسِ القصيدةْ / بينما شاعرةٌ يؤلمها نزف الكآبةْ .. "
يحاول الشاعر أيضاً أن يمزج أحلامه بالحبر فتطيش قطرات ملساء من رجفةِ المنفى .. وقد نامت فوق أحزان العبارةْ .. وتتتالى القصائد : (الوهم – الرحلة – قراءة ثانية في سراديب الوجود – الجسد – الدهشة – الفضاء ..) حيث ينتهي الديوان ..
في قصيدة الرحلة (ص 71) تقول في مطلعها : "قبل أن نمضي بعيداً / تاركين الباب مفتوحاً لقطّاع الطريقْ../ سوف نبكي ونغني في الخفاءْ / وننادي شجر الليل لكي يرمي أثاث البيتِ في جرح الفضاءْ .. " وهي من القصائد

الشفافة بشاعريتها تستخدم فيها بعض الانزياحات اللغوية والصور المركبة مثل : (شجر الليل – جرح الفضاء –أمواج الوداع) .. والقصيدة قصيرة إذا ما قيست بباقي القصائد ..وفي قصيدة قراءة ثانية في سراديب الوجود (ص 75) تتضمّن /4/ مقاطع تقول في المقطع الثاني وتسأل : " على أيّ قاعٍ ستهبط هذا المساءْ ..؟! / على أي أرضٍ ستمشي ..؟! " ثم تعود في نهاية المقطع لتسأل من جديد : " على أيّ جذعٍ ستهبطُ وحدكَ / كي تتفجّر عشقاً وتمضي .. " نلاحظ تكرار كلمة وتمضي في آخر المقطع الأول والثاني والثالث وكأنه اللازمة .. لكنها ليست في أول المقطع وإنما في آخره .. وتستخدم بعض الصور المركبة مثل (طاحونة النسيان – جنة الوقت – شروخ العمر) يتيه صهيلها في ليالٍ تحتوي كل القطارات التي تحسبها جنة الوقت بقلبها.. ونجد في كل قصيدة دلالات وفضاءات على سطح خريطتها الإبداعية .. في قصيدة الجسد (ص 81) نجد الشاعرة تكرر عدة كلمات في القصيدة مثل : (جثثٌ – سرج لأحداق الظلامْ–هذا الخريف) والقصيدة تعتبر من القصائد الطويلة ومن إيقاع التفعيلة وعنوانها مكرر في المجموعة الأولى وكعادتها تستخدم بعض الجمل الوصفية والصور المركبة مثل : (ظلال متعبة – رغيف الصمت – قبضة الأسرار – سنام البحر) تقول في القصيدة : " في غرفتي تتبعثر الأوراق

مثقلةً / بتاريخ الضجـرْ / وحدي هنا / هذا الزفير حطامُ نافذتي .. / يفيق على منافي عزلتـي / وحدي هنا .. "
وتقول أيضاً : " هذا الخريف يداعبُ الميلاد / يمضي في خطايانا / ويأتي زاحفاً .. " في قصيدة الدهشة (ص 93)وهذا العنوان مكرر أيضاً في مجموعتها الأولى تقول في المقطع الأول : " .. المعطـف المتجعّدُ يشطرني / فأوزع حزني / على خشب الطرقاتِ / وأعـوي كحزن الخريفْ .. " وتكرر في القصيدة جملة (ربما نلتقي) في المقطع الثاني /4/ مرات .. في قصيدة الفضاء (ص 99) تقول في مطلعهـا : " أُحرّك رأسي / فتسقط تلك المسافةُ / أمحو بقايا الحكاياتِ / من فوقِ زنزانة الشوقِ / أنصت للريحِ وهي تئنُّ وتغسل نافذتي .. "
وتكرر جملة (أحرّك رأسي) في القصيدة .. وهي آخر قصيدة في ديوانها (لم تكن روحي..) ، كما أنها أخرجت قصائدها من النثريـــة التقريرية .. وخفّفتْ من الإثارة والاستفزاز فيها .. بينما ظلّت بعيدة عن قصيدة الإنشاد المباشرة .. واستخدام القافية بأنواعها .. فقد بدت لنا شاعرة متمكنة من زمام القصيدة بشكلِها النثـري والتفعيلة..مـع عدم الوقوع في مطبات القافية التي كثيراً ما وقع فيهـا شعراء قصيدة النثر وقصيدة التفعيلة معاً.. ..
وأسأل الشاعرة في نهاية الرحلة : إلى أي مدى ستسبقكِ غربتـــكِ وتبوحين لطاولة الحزن .. للفقد .. للبحرِ ..

زاخـرة حياتكِ بدواعي الرحيل ..؟؟ بذاكرةٍ تتقاذفها موجةٌ هزمتها الرياحُ .. وعشش فيهـا الجنون ..؟؟ وإلى أي مدى ستبقـي زاخرة بالثواني التي تنحني وتمـرّ كفاتحةِ الانكسارْ ..؟ تملؤكِ بالهموم .. ؟!! .

*

الشاعرة سعاد الكواري / في باب جديد للدخول ..؟!

الشاعرة القطرية سعاد الكواري (1) ، في مجموعتها الشعرية الثالثة (2) ، باب جديد للدخول : تتضمن (23) قصيدة نثرية ، جاءت في (48) صفحة من القطع الصغير المتطاول ، بغلاف ملوّن وأنيق ، عليه لوحة غلاف جميلة للفنانة نوال الكواري ، إصدار دار الشرق ..
تبدو الشاعرة للدارس أنها تمتلك أدواتها الشعرية في قصيدة النثر ، وكثيراً ما يسقط الشعراء في النثرية التقريرية من خلال محاولاتهم في كتابة القصيدة النثرية، باعتبارها لا زالت قيد التجربة حتى الآن على الرغم مما قطعته في طريق النجاح الذي يلوح أمله على الساحة الإبداعية الأدبية ، باعتمادها على الجمل الوصفية ، والانزياحات اللغوية ، التي تشكّل كوناً يموج بالحركة ..
وشعر " الكواري " - من خلال ما قرأت لها من قبل في لم تكن روحي _ تتلبّسه حالة الغموض ، والدوائر المغلقة ، والشفافية الشعرية أو الوضوح قلّما تجده في شعرها ، فهي

متأثرة بالشعر الغربي إلى درجة كبيرة ، وكأنك أمام شعر مترجم ، وهذا ما لمسته سابقاً في إبداعاتها .. إنها تقول الكثير ، ولا يصلنا منه إلا القليل ..
وقد وُفّقت في التخلّص من مطبّات القافية والوزن في قصيدة النثر ، وهذا ما كان يقع به أكثر شعراء قصيدة النثر ، كما نجد الشاعرة في كثير من الأوقات تفتح ثقوباً في جسد القصيدة من خلال بعض الجمل الشعرية الشفافة .
أما في مجموعتها " في باب جديد للدخول " وهي عنوان آخر قصيدة في الديوان ، تعادل في طولها نصف المجموعة ، والتي سيتم دراستها أنموذجاً فيما بعد ..
في المجموعة العديد من قصائد الومضة ، مكثّفة ، تركّز فيها على طرح فكرة محدّدة وتجسيدها ، بلغة بسيطة ، خالية من اللغة البلاغية إلا ما ندر ، كما في قصيدة تسلل (ص19) ، حيث تقول : " ما أن أسقط / على شرفة أحد المنازل / حتى أتحوّل إلى بذرة / تتشعّب جذورها في القاع / وتتمدّد أغصانها إلى آخر الزوايا / أيّ شرفة كانت / تراني أمتدّ إلى الداخل / وأستسلم للسعات الضوء ."
فالقصيدة خالية من الجمل الشعرية البلاغية ، والانزياحات اللغوية ، ما عدا (لسعات الضوء) والتي جاءت في آخر القصيدة ، حتى أنّ الدهشة في آخر القصيدة تأتي ضعيفة في قصائد الشاعرة ..
وهناك قصائد أخرى في الديوان ذات مقاطع ، متوسطة

الطول ، تختلف عن غيرها بوجود لازمة لها تتكرر في كل مقطع حالها حال العديد من شعراء المعاصرة ، كما في قصيدة " عندما تكون خطواتي "(ص3) ، حيث تُكرر جملة (ضعوا أسلحتكم) أكثر من مرة ، وكذلك في قصيدة " عند الباب (ص28) ، حيث تكرر جملة (قرّب وجهك من نافذتي - رتّل نصوصك) أكثر من مرة ..
نجد الشاعرة قليلاً ما تستخدم الانزياحات اللغوية في هذه المجموعة مثل : (مدينة التشرّد - خزائن الروح - طائر العمر - مدائن الحلم - سفن الخيال - خمرة الحلم - ظلمة الروح - طائر الخيبة - طواحين الضوء - شمس المراوغة -عواء الليل - جسد المدى - رماد الحلم - جنة الحلم - مرايا الصمت - سيقان الحلم) ، وتكاد تكون الوحيدة في المجموعة ، وهي قليلة إذا ما قيست بمجموعاتها السابقة التي سبق ودرستها .. وهذه النقطة قد لا تكون لصالح الشاعرة .
أعود لقصيدة باب جديد للدخول فأقول : تتألف من (21) مقطعاً ، في المقطع الأول تقول : " أشعر بالخوف وبالقلق / من أن أصطدم بحائط / أو يصطدم بي ظلّك ." ، وفي المقطع الثاني تقول : " من أيّ باب أدخل إليك/بعدما أغلقتَ الأبواب جميعها وابتعدت/ أو أغلقتها الريح .. "، وتعتمد جملة (من أي باب أدخل إليك) للازمة في القصيدة ، وتُكرّرها أكثر من مرة في القصيدة ، يبدو أنه مكابر ، وهي مطعونة ، سبق له وفتح لها أبوابه ، وهي تطلب منه فتح

باب أخير للدخول .. ماذا تفعل ..؟ هل تزحزح لوعة الحذر .. أم تبسط شمس المراوغة المثيرة ..؟!
في المقطع الرابع : تُخاطبه بقولها (يا سيّد العطاء) ، وتقول له : أنا الغيوم .. أنا الحطب .. أنا دم البحيرات وعواء الليل ..إلى أن تقول : " من النافذة أدخل إليك / من الشقوق / من الأبواب الموارِبة / كالغبار أتشرّد بين زواياك / يا سيد العطاء والحب / آوني لا طريق أمامي غيره .." ، ثم تطلب من أن يأويها لأنها ضائعة ، لا مدينة ، لا محطة ، لا قطار ..وتقول في آخر المقطع : " أنا النار وأنت الريح / أنا الريح وأنت النار .."
في المقطع الخامس : يأتيها من كل الجهات ، فتكبر به ، وتذكر ما فعلت بها الريح .. وفي القطع الثامن : يُفتح لها باب للدخول ، نجد ذلك في قولها : " كأنني عروسة بحر لا تزال تجهل فنون الغطس / لكنني غطست ففتح البحر ذراعيه واحتضنني .." ، وهنا تكشف النقاب ولأول مرة عمن تخاطبه ، ولعلّه البحر .. وتتابع القول: بأنها المرأة المتوّجة بقناديل السماء ، تضيء كلما مسّها نيزك ، وتشتعل ..
في المقطع الحادي عشر : تأتي كعادتها إلى التراث والتاريخ فتقول :" هو المدى يأخذني إلى أبعد سلسلة في تاريخي / تاريخي المنثور فوق قمم الجبال / وبين أفخاذ الوديان / تاريخي المشطور إلى أجزاء صغيرة / تلهو بها الفئران

والأرانب البرية .." ، وتستمر في التناثر في خرائب الماضي ، وفي مدافن الحرمان ، باحثة عن مستقرّ ..
في المقطع الثاني والثالث والرابع عشر : تحاور الصباح بعد أن رأته ودنت منه ، وركعت له ، يبتسم ويقودها إلى نقيضه ، فتختلط عليها الأشياء .. وعلى الشجرة ترى عصفورة وحيدة بعد أن طار كل العصافير ، يحاول ثعلب الانقضاض عليها - أي على العصفورة - يسقط ولا يستطيع .. يطلب منها الطيران (كأنها تُذكّرنا بقصة الثعلب والعنب) ، وتحاور الشاعرة العصفورة ويفرّ الثعلب مع الريح ، لكنّ العصفورة لا تطير ولا تترك عشّها ، فتخفض الشاعرة رأسها من تحت الأغصان كي تعبر ، وترمي أحجاراً في قلب البحر وتمضي .. يهيج البحر ولا يهدأ ..
وكثيراً ما نجد الشاعرة تستخدم الصور الجميلة بين الفينة والفينة في قصائدها ، كم في قولها في (ص40) : " في رماد الحلم اختبأتْ صورة وهيئة / فلبستُ الحلم / قلتُ لسفينته المبحرة في قلبي / انتظري لحظة واحدة / ربّما أستعيد ذاكرتي وأمضي / ربما أدخل جنة الحلم " ..
وتخاطبه فيما بعد قائلة : يا سيد الفتوحات العظيمة ..
وتسأله من جديد ليفتح لها بابه ، وتخاطبه من جديد : يا سيد العشق والعطاء آوني فخلفي خيولٌ مجنونة وقراصنة ..
في المقطع السابع عشر : تخاطب الشرفة المفتوحة على الصحراء ، وتُطلق العصافير من أقفاصها ، لتحمل الأماني

فربما تتحقق .. وفي القطع التاسع عشر تتحدّث عن نفسها بأنها بدأت تكبر فتقول : " بدأت أكبر / أتسلّق أقواسك العالية / أتشبّث بسيقان الحلم / بوجع النوافذ / بالظل / هي الفصول الأربعة .." ثم تخاطب الشمس وتناجيها قائلة : " أيتها الشمس احرقي غابتنا .. المكتظة بعسل النبوءة .." ، وتتابع رحلتها فتمضي وتقطع طرقات كثيرة ، تمشي خلفه وتتبعه ، تلبس جبّة الريح ، تتقمّصها ، فتحط الريح عند بابها ، وتنام كأنها قطة مذعورة وتنام إلى جانبها ، بينما راح صوته يزلزلها ببطء وهو يبتعد .. تقول أنها تحتاج القليل من الوقت ، وتخاطب المدينة القاسية التي بدأت تتضخّم ، وتسألها أن تُطلق سراحها ، وتسأل في آخر مقطع من القصيدة : من أي باب ستدخل ثانية .. من أي نافذة .. من أي فتحة ..من أي شرخ أو ثقب ..؟ فقد أُغلقتْ الأبواب حميعاً ، أو أغلقتْها الريح .. وعلى الرغم من طول القصيدة فقد جاءت ملوّنة ، ومتنوّعة ، كباقة الورد ، فيها الشفافية ، وفيها الغموض ، وإن كانت تحتاج لأكثر من قراءة لتفتح أبوابها ، وقد تكون أرحم من بحر الشاعرة الذي أغلق جميع أبوابه في آخر الرحلة .

وأخيراً لا بدّ من القول : تعتمد الشاعرة في رحلتها الشعرية على الذهنية والعاطفة معاً (العقل والقلب) وقد يكون العقل أوّلاً ، يأتي شعرها بلغة سهلة في أكثر الأوقات ، ممتعة أحياناً ، بعيداً عن اللغة البلاغية التي يستخدمها شعراء

العمودي والتفعيلة المعاصرين ، وقد يكون في تلوين وتنويع قصائدها ما يُحسب لصالحها ، والملاحظ أنّ الشاعرة تمتلك زمام قصيدة النثر جيداً ، سواء الومضة ، أو القصيدة ذات المقاطع الطويلة ، فهي تُحسن الدخول لمضمار القصيدة ، والخروج منها ، وتنتقل على صهوة جوادها الشعري بليونة وخبرة كما تشاء ، حالها حال الفارس المدرّب على خوض ميادين الفروسية جيداً ..

وأخيراً أسأل الشاعرة " الكواري " : لماذا لم تعرف ما تفعل عندما سقط الحصان على ظهره .. طالما هي نقطة ضوء هاربة من زاوية بعيدة .. ولماذا دثّرته بردائها بعدما سقط .. ودثّرتْ جسدها بعظام حيوانات منقرضة..